مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

الحرب مع إيران وإعادة تعريف الحياد العربي

موقع الدول العربية في ظلّ الحرب الشبكية الدائرة في الشرق الأوسط

محمد بن ساري الزعبي

باحث أول بمركز الخليج للأبحاث

مقدمة

كان الحياد يُفهم في النماذج الكلاسيكية في حالة الحرب على أنه الامتناع عن أي انخراط عسكري مع أي من أطراف الحرب مع بذل الجهود الممكنة لخفض التصعيد وفتح طاولة الحوار لإنهاء حالة الصراع، وهذا ما كرّسته تقاليد القانون الدولي منذ اتفاقيات لاهاي، حيث يُنظر إلى الدولة باعتبارها محايدة ما دامت تمتنع عن تقديم أي دعم مباشر لأي طرف من أطراف الصراع.[1]

هناك تحوّل نوعي دائر في طبيعة الصراع في الشرق الأوسط، حيث تُظهر حرب الولايات المتحدة وإسرائيل المتصاعدة مع إيران، سواء بشكل مباشر أو عبر مساراتها غير المتناظرة، تجاوزاً لحدود المواجهة الثنائية إلى البنى الإقليمية. يُعاد تعريف مفهوم «الحياد» بشكل أساسي بالتوازي مع اتساع نطاق العمليات العسكرية وحجم التصعيد وازدياد كثافة الضربات المتبادلة. لا تزال الدول التي تعيش في البيئات الإقليمية التقليدية، قادرة على قراءة الخطوط الفاصلة التي تميّز بين القتال أو المراقبة، وبين أن تكون طرفاً منخرطاً أو متأثراً، وأن تكون في ساحة عمليات أو تداعيات. أما في الحرب الإقليمية الدائرة، حيث تُستهدف العواصم الخليجية والعربية بشكل مباشر، وتُضرب منشآت الطاقة، وتتحول فيها أجواء الدول العربية

المدنية إلى مسارات مفتوحة لتبادل الضربات المميتة، تتلاشى هذه الخطوط الفاصلة وتصبح هذه الدول، من حيث لا تريد، شبه طرف في المعركة لا مجرد مجاور للأزمة أو ضحية جانبية لتداعياتها، حتى لو لم تتخذ قراراً سياسياً لذلك.

يشهد الإقليم بشكل عام معضلة جديدة تُدار بمنطق توسيع دوائر الاشتباك بالإضافة إلى منطق السيطرة على الجبهات، ما يجعل «الحياد» نفسه مُكلفاً. تدرك الأطراف المتصارعة اليوم أن «الحسم المباشر» ربما يكون متعذراً أو بالغ الكلفة، لذلك لن يكون السؤال متعلّقاً بمن يحقق النصر السريع، بل بكيفية توزيع كلفة الحرب على البيئة المحيطة بأكملها؟ وكيف يمكن دفع الدول المحايدة رسمياً إلى الشعور بالضغط نحو الانخراط بالمعادلة؟ وهنا تتجلّى اللعبة الأكثر خطورة: لعبة رفع كلفة الحياد وتحويله إلى من موقف آمن إلى وضع هشّ ومكشوف.

تفكيك الحياد العربي في بيئة الصراع الشبكي

في كتابه فنّ الإكراه (The Art of Coercion)، يستند رايد بولي في تحليل الحروب التقليدية إلى مفاهيم الردع والحسم والسيطرة على الأرض، حيث يتم توظيف القوة أو التهديد بالقوة لتحقيق سلوك محدد لدى الخصم، إلا أن هذا النموذج يفترض وجود فاعلين محددين وحدوداً واضحة للصراع.[2] لكن الصراع الحالي يقدّم نموذجاً أقرب إلى ما يمكن تسميته بالحرب الشبكية، حيث تتداخل المجالات العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية والإعلامية مع أطراف قد لا تكون أطرافاً مباشرة في الصراع، وهذا نمط يتقاطع مع أدبيات «الحروب الهجينة» و«المناطق الرمادية» التي يتنامى فهمها في المؤسسات الدفاعية الغربية، حيث يتوسع نطاق الضغط على جميع الأطراف الإقليمية دون الوصول إلى مستوى الحرب الشاملة.[3] ضمن هذا الإطار لن يتعلّق تصنيف الدولة بالموقف السياسي المعلن، بل وفق موقعها داخل الشبكة العملياتية للصراع. فإذا كانت أجواؤها ممراً للضربات المتبادلة، أو كانت بنيتها التحتية جزءاً من منظومة الطاقة العالمية ومستهدفة،

1 Second International Peace Conference, Convention (IV) Respecting the Laws and Customs of War on Land, The Hague, 18 October 1907, Annex, Regulations, Art. X, accessed March 19, 2026, https://nsarchive.gwu.edu/sites/default/files/documents/5975792/National-Security-Archive-Convention-Respecting.pdf

2 Reid B. C. Pauly, The Art of Coercion: Credible Threats and the Assurance Dilemma (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2025), 17–22.

3 Frank G. Hoffman, “Hybrid Warfare and Challenges,” Joint Force Quarterly 52 (1st Quarter 2009): 34–39, https://doi.org/10.4324/9781315814803-35

فإن الدولة تدخل بشكل تلقائي في حسابات الحرب، حتى دون قرار سياسي بدخولها.

لطالما أرسلت إيران رسائل أن أي حرب تطال جغرافيتها ستمتد إلى الفضاء الإقليمي سواء عبر استهداف المصالح الأمريكية في الدول المجاورة أو الضغط على الممرات البحرية أو تهديد إمدادات الطاقة أو إعادة تنشيط الوكلاء في العراق ولبنان واليمن.[٤] ستتجاوز هذه الرسالة الرد العسكري إلى إنتاج معادلة سياسية نتاجها ربط صارم لأمن واستقرار الإقليم بأكمله مع أي تهديد أو محاولة عزل أو اعتداء على إيران. من جهة أخرى، تريد إسرائيل، الطرف الثالث في الحرب، أن تثبت معادلة مضادة عنوانها أن الحرب لم تعد مع إيران بوصفها دولة فقط، بل مع المنظومة المرتبطة بها، شبكياً ووظيفياً ولوجستياً وسياسياً، وهذا لا يؤدي بنا إلا إلى نتيجة رئيسية واحدة: حرب توسعية ممتدة. ومن هنا يُصبح كل امتداد، وكل بنية إسناد، وكل مجال حيوي محتمل جزءاً من بنك الأهداف أو على الأقل ضمن فضاء الضغط.[٥]

يمكن قراءة السلوك الاستراتيجي لكل من إيران وإسرائيل في إطار محاولة تبدو أنها واعية لتفكيك الحياد الإقليمي الذي تمارسه الدول الخليجية والعربية المجاورة لتجنب حرب شاملة، حيث تسعى الأولى إلى «ردع شبكي ممتد» في الساحات الإقليمية وعبر المجالات المختلفة، وإعادة استخدام «محور المقاومة» كبنية ردع غير مركزية.[٦] تعمل إسرائيل على تطوير نموذج «الاستهداف الشبكي»، حيث تتعامل مع التهديد كمنظومة مترابطة من القدرات والعلاقات. وقد برز هذا التوجّه في العقيدة الأمنية الإسرائيلية منذ حرب ٢٠٠٦ مع التركيز على ضرب النظام وليس فقط «الوحدات».[٧] والنتيجة المباشرة لهذا التفاعل بين السلوكين في الحرب هو رفع كلفة الحياد، بحيث يصبح البقاء خارج الصراع أكثر صعوبة حتى من الانخراط فيه بشكل محسوب.

يضع هذا التفاعل الدول العربية في لحظة حساسة وحاسمة، فهي لا تبعد عن الحرب بما فيه الكفاية لتنجو من آثارها، وليست منخرطة فيها بما يكفي لتفرض قواعدها عليها؛ في منطقة رمادية هي الأخطر، حيث يتعذر عليها الجمع بين متطلبات الحماية ومتطلبات الابتعاد. فإذا اختارت الاكتفاء بالمراقبة، فإنها تدفع الثمن بصيغ مختلفة تشمل التهديد الاقتصادي والضغط على أسواق الطاقة ورفع المخاطر على الملاحة والاستنزاف الأمني عالي المستوى واحتمال دائم لحوادث تقنية أو عسكرية تحوّل مسارها الحيادي في أي لحظة إلى جزء من المشهد القتالي الذي يستوجب ردوداً من الخصوم. أما إذا تحرّكت للهجوم الدفاعي المشروع عن أجوائها ومنشآتها ومصالحها، فقد يُقرأ من قبل بعض الأطراف كاصطفاف عملي أو انخراط غير مباشر أو مساهمة في منظومة الردع المقابلة، وإذا اكتفت بمواقف سياسية لفظية غير مدعومة بقدرة دفاعية أو تنسيق عربي جماعي، فإنها تتحول إلى مساحة ضغط مكشوفة من الممكن أن تُستباح معنوياً واستراتيجياً من دون أن تمتلك قوة ردع تدافع عن أراضيها أو قدرة تأثير على وضع متغير صعب في معادلة الصراع الدائرة.

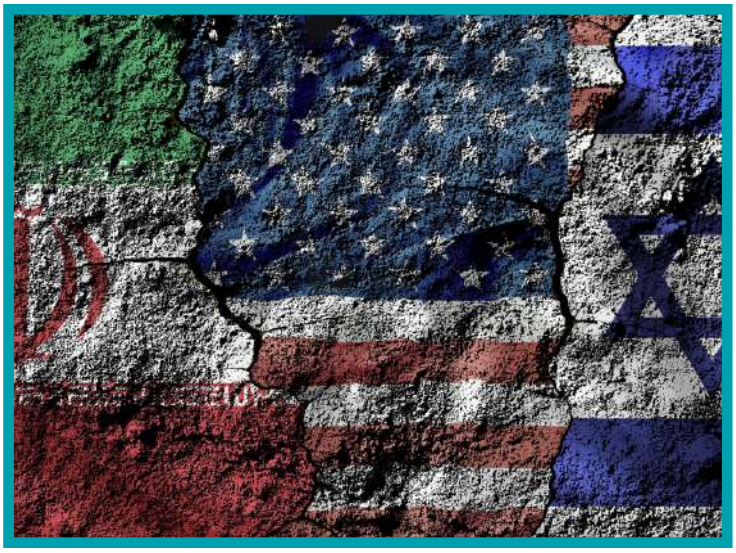

4 Reuters, "الولايات المتحدة تشعل حرب إيران لكن دول الخليج هي من تدفع الثمن، بحسب مصادر," March 11, 2026, https://www.reuters.com/ar/business/LDVZW2WOBNNV7EEQMEUTH-ISWJI-2026-03-11/

5 Haaretz, "Toward the Beginning of the End," March 15, 2026, https://www.haaretz.com/opinion/2026-03-15/ty-article-opinion/.premium/toward-the-beginning-of-the-end/0000019c-ede0-df16-a3dc-fff5397e0000

6 Nader Uskowi, Temperature Rising: Iran's Revolutionary Guards and Wars in the Middle East (Lanham, MD: Rowman & Littlefield, 2018), pp. 2, 6.

7 Eado Hecht, "The Evolution of Israeli Military Strategy," Strategic Assessment 19, no. 2 (2016): pp. 31–33, 37–39.

المأزق العربي ومسارات الحرب الممتدة

بحكم موقع الدول العربية وما يمكن تسميته «بالانكشاف الهيكلي»، تتجلّى الإشكاليات الرئيسية الثلاث: الدفاع الملتبس حيث يؤدي الدفاع عن السيادة إلى احتمالية تفسيره كاصطفاف؛ والاعتماد الاقتصادي خاصة في مجال الطاقة والتجارة، ما يجعل التصعيد تهديداً مباشراً للاستقرار الداخلي؛ والفراغ التنسيقي، حيث يظلّ العمل العربي المشترك دون المستوى المطلوب لمواجهة التحديات الشبكية. وبين هذه الإشكاليات الثلاث يقبع شبح الانجرار إلى حرب كل ما تتطلبه هو تفكيك الخطوط الفاصلة بين الدولة المحايدة وبينها، حين تتحول أجواءها إلى ممر ضربات عسكرية، ومنشآتها أهداف محتملة، ومياهها إلى مساحات احتكاك، واقتصادها إلى رهينة لتقلبات إطلاق وإيقاف النار، فستجد نفسها دون خيار داخل الصراع، لأن بنيته أعادت تعريف موقع دولة الحياد قسراً. هذه النقلة المفاهيمية ؛ كيف أن الدولة لم تعد تدخل الحرب فقط عندما تطلق النار على الأخرى، بل عندما تصبح بنيتها الحيوية جزءاً من معادلة الردع، أو عندما يصبح مجالها السيادي جزءاً من الجغرافيا العملياتية للصراع.

في هذا السياق ينفتح المشهد الإقليمي على أربع مسارات متداخلة بمستويات متفاوتة من الخطورة. المسار الأول هو «مسار الدفاع» والذي يبدو في بدايته وظاهره أقلّ السيناريوهات تصعيداً، لكن خطورته بالغة حين تضطر الدول العربية إلى تحويل الدفاع الاعتيادي إلى دفاع استباقي يساهم، في نظر الأطراف المتصارعة، في خفض فاعلية الطرف المهاجم أو زيادة مناعة الطرف الآخر. وهنا يجد الفاعل الإقليمي نفسه في مفارقة صعبة، فعليه أن يدافع عن سيادته وأرضه، بينما تزيد احتماليات احتسابه ضمن التوازنات القتالية الجارية. يتمثل المسار الثاني في خطر انتقال الحرب إلى استهداف موارد الطاقة والبنى التحتية الحيوية، هذا لن يكون حدثاً محلياً، بل له امتدادات عالمية، ويعيد تعريف أولويات الأمن القومي، خاصة لدى الدول المنتجة والمصدرة للنفط والغاز. وحين تصبح الطاقة نفسها هدفاً، فإن الحرب تتجاوز أبعادها العسكري إلى أبعاد اقتصادية تُجبر الدولة المحايدة على التعامل مع التطورات بشكل أكبر من مجرد أزمة إقليمية خارجية، لأن المسألة تصبح مرتبطة بشكل مباشر بعائداتها واستقرارها المالي وقدرتها على تمويل التزاماتها الاجتماعية وبصورتها كشريك موثوق في الأسواق العالمية، ويصبح التحرك السياسي ضرورة وجودية تفرضها بنى الاقتصاد الوطني ذاته.

يرتبط المسار الثالث بإمكانية اتساع الجبهة اللبنانية وما يترتب عليها من تداعيات إنسانية وسياسية وأمنية. يملك لبنان قابلية عالية على التحول من ساحة اشتباك موضعي إلى بوابة توسيع شامل للأزمة، وإذا انفجر المشهد هناك على نطاق واسع، لن تبقى التداعيات محصورة في الحسابات العسكرية.[8] ستبرز ضغوط إنسانية ونزوح محتمل وارتباك سياسي وتزايد للانقسام الإقليمي حول كيفية احتواء التصعيد الشامل أو ضبط مسارات توظيفه من قبل الأطراف. ربما تجد الدول العربية نفسها عندئذ أمام معضلة مزدوجة متمثلة بكيفية منع انفجار أوسع دون أن تُسحب إلى مركزه، وكيفية التعامل مع تبعات إنسانية وسياسية متسارعة دون أن تتحول إلى جزء من ساحة التجاذب نفسها. أما المسار الرابع فيتمثل بالممرات المائية بشكل رئيسي، خاصة نطاق هرمز وما يتصل به من شرايين استراتيجية، حيث يُقاس التوتر بمدى قدرة التوتر على تحويل الأمن البحري إلى سبب إلزامي للتدخل. عندما تصبح خطوط التجارة تحت التهديد وحركة الصادرات والواردات معرضة للاضطراب، لا تستطيع الدول المطلة والمعتمدة عندها الاكتفاء بالمراقبة، فحماية الملاحة لن تعود وظيفة تقنية لوجستية بل مسألة أمن قومي مباشر. ترتفع هنا احتمالات الاحتكاك، لأن الدخول إلى مسرح الحماية البحرية قد يفتح تلقائياً باب التماس مع حسابات الردع والرد المضاد، فيتحول البحر من فضاء اقتصادي إلى مسرح اشتباك متقدم.[9]

رغم خطورة هذه المسارات، لا يزال هناك خيار أفضل، وهو ليس أسهلها، بل يحتاج إرادة سياسية عربية متماسكة وسريعة. لا يقوم هذا الخيار على الانحياز لأي طرف أو على الحياد السلبي الهشّ، بل يتمثل «بالحياد السيادي النشط»، الذي يمكن تعريفه بممارسة الحماية الذاتية بالقوة ووضع حدود حمراء فاصلة تعزل أراضي الدولة وأجواءها ومياهها عن أي امتداد لساحات الاشتباك والصراع.

8 Middle East Council on Global Affairs, “The Collapse of Containment: The Lebanese Front in the Regional Conflagration,” March 10, 2026, https://mecouncil.org/ar/publication/الجبهة-اللبنانية-في-الصراع-الإقليمي/

9 The National, “UAE Could Play Role in Ensuring Security in Strait of Hormuz, Says Gargash,” March 17, 2026, https://www.thenationalnews.com/news/us/2026/03/17/uae-could-play-role-in-ensuring-security-in-strait-of-hormuz-says-gargash/

نحو إعادة تعريف الحياد العربي: القويّ المسلّح

يصبح من الضروري في ظل كل هذه التحديات إعادة تعريف الحياد كمفهوم ديناميكي، ويمكن استلهام نماذج تاريخية، مثل الحياد المسلح في أوروبا خلال القون التاسع عشر، حيث احتفظت الدول بقدرات دفاعية قوية لضمان حيادها.[10] في السياق العربي يتطلب هذا النموذج ثلاثة عناصر مترابطة دون استهداف الانخراط في الحرب، بل منع الانجرار إليها عبر رفع كلفة استهداف المجال العربي. أولاً، بناء قدرات دفاعية متقدمة قادرة على حماية المجال السيادي ومنع استخدامه كساحة صراع. وهذا يعني تفعيل الدفاع عن الأجواء والمنشآت والمياه كجزء من عقيدة دفاعية واضحة تعلن أن حماية السيادة تعني صون الدولة من أن تتحول إلى ممر أو منصة أو ضحية مجانية ولا تعني الاصطفاف مع أي طرف في الصراع.

ثانياً، تطوير آليات تنسيق إقليمي فعّالة خاصة في مجالات الدفاع الجوي وأمن الطاقة والملاحة، من خلال تفعيل التعاون والتنسيق العربي كضرورة عملياتية عاجلة. فحين تكون الصواريخ عابرة للحدود والمخاطر موزعة على الطاقة والبحر والجو والاقتصاد، فإن الاستجابة المنفردة تصبح أقل فاعلية وأكثر عرضة لسوء الفهم، والمطلوب هنا بناء حد أدنى من التنسيق السريع في الإنذار المبكر، والدفاع الجوي، وأمن الطاقة، وحماية الممرات البحرية، وإدارة الرسائل السياسية الجماعية، بما يخفض فرص جرّ الدول إلى الحرب فرادى.
ثالثاً، صياغة موقف سياسي جماعي يحدد خطوطاً حمراء واضحة مع القدرة على فرضها. يتم ذلك من خلال امتلاك خطاب سياسي عربي موحد يفعّل إجراءات سيادية واضحة، كرفض استخدام الأراضي والمجالات الوطنية كمنصات حرب، ورفض تحويل المجال العربي إلى ساحة تصفية حسابات، والإعلان أن حماية المصالح الوطنية والعربية ستتم بقوة محسوبة ومنضبطة. فالصوت السياسي المنفرد في مثل هذه اللحظات يظل محدود الأثر، أما الصوت الجماعي المدعوم بقدرة دفاعية ورسالة استراتيجية متماسكة، يصنع فرقاً في حسابات الآخرين، لأن الأطراف المتحاربة غالباً تراقب البنية الفعلية للقوة والإرادة والقدرة على فرض الخطوط الحمراء ولا تكتفي بقراءة النوايا.

خاتمة

تكشف الحرب الأمريكية الإسرائيلية مع إيران أن منطقة الشرق الأوسط دخلت مرحلة جديدة لم تعد فيها الحروب تُخاض بالسلاح وحده، بل بإعادة تعريف الأدوار والانخراط والمواقع داخل النظام الإقليمي. وهنا يصبح الحياد تحدياً استراتيجياً يتطلب موارد وقدرات ورؤية جماعية، والدول التي ستنجح في هذه المرحلة هي تلك التي تمتلك القدرة على تحديد موقعها داخله، ومنع الآخرين من إعادة تعريفه نيابة عنها.

يكمن التحدي الأكبر أمام الدول العربية في كيفية منع الحرب من إعادة تعريف حالتها وموقعها من الحرب. فإذا تركت الآخرين يرسمون حدود الانخراط ومفاهيم الحياد واستخدام المجال السيادي، فستجد نفسها قد دخلت اللعبة وفق قواعد لم تضعها وخارج إرادتها. أما إذا بادرت إلى بناء حياد قوي ومنظم ومسلح ومتضامن عربياً، فقد تنجح في كسر هذه المعادلة الجديدة، وتثبت أن الإقليم ليس مجرد فراغ استراتيجي مفتوح لتصفية الحسابات، بل فضاء سياسي قادر على حماية نفسه وفرض منطقه.

10 Peripeties, “Powers of Neutrality? The Baltic Sea Region as a Historical Laboratory,” accessed March 19, 2026, https://peripeties.uni-greifswald.de/powers-of-neutrality-the-baltic-sea-region-as-historical-laboratory/

Gulf Research Center
Knowledge for All

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

Gulf Research Center Jeddah (Main office)

19 Rayat Alitihad Street
P.O. Box 2134
Jeddah 21451
Saudi Arabia
Tel: +966 12 6511999
Fax: +966 12 6531375
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Riyadh

Unit FN11A
King Faisal Foundation
North Tower
King Fahd Branch Rd
Al Olaya Riyadh 12212
Saudi Arabia
Tel: +966 112112567
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Foundation Geneva

Avenue de France 23
1202 Geneva
Switzerland
Tel: +41227162730
Email: info@grc.net

Gulf Research Centre Cambridge

University of Cambridge
Sidgwick Avenue,
Cambridge CB3 9DA
United Kingdom
Tel:+44-1223-760758
Fax:+44-1223-335110

Gulf Research Center Foundation Brussels

Avenue de
Cortenbergh 89
4th floor, 1000
Brussels
Belgium

www.grc.net